

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السابعة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حدثاته سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله . كان للشيخ (رحمه الله ) أخبار عجيبة في حدثاته سنه تدل على نبوغه وتفوقه ، كما كان لبذله في حدثاته سنه من الجد والاجتهاد في العلم والعمل الأثر الكبير في تكوين شخصيته المتميزة في جوانب عدة .

وإذا تأملنا في حال ملبسه مطعمه فقد كان (رحمه الله) متوسطا في لباسه وهيئته لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر إليه ولا أطمارا ولا غليظة تشهر حال لا بسها ويميز من عامة الناس بصفة خاصة يراه الناس فيها من عالم وعابد بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطهم ولم يكن يلزم نوعا واحدا من اللباس فلا يلبس غيره بل كان يلبس ما اتفق وحصل ويأكل ما حضر وكانت بذادة الإيمان عليه ظاهرة لا يرى متصنعا في عمامة ولا لباس ولا مشية ولا قيام ولا جلوس .

وما كان (رحمه الله) يطلب طعاما ولا غداء ولا عشاء ولو بقي مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل بل كان يؤتي بالطعام وربما يترك عنده زمانا حتى يلتفت إليه وإذا أكل أكل شيئا يسيرا ، وما كان يذكر شيئا من ملاذ الدنيا ونعيمها ولا

كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها بل جعل همته وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى .

وأخبر أخوه الذي كان ينظر في مصالحه الدنيوية أن هذا حاله في طعامه وشرابه ولباسه وما يحتاج إليه مما لا بد منه من أمور الدنيا ، وقال أحد أصحابه : ما رأيت أحداً كان أشد تعظيماً للشيخ من أخيه هذا أعني القائم بأوده وكان يجلس بحضرته كأن على رأسه الطير وكان يهابه كما يهاب سلطاناً وكنا نعجب منه في ذلك ونقول من العرف والعادة أن أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب بل يكون انبساطهم معه فضلاً عن الأجنبي ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه فيقول إني أرى منه أشياء لا يراها غيري أوجبت علي أن أكون معه كما ترون وكان يسأل عن ذلك فلا يذكر منه شيئاً لما يعلم من عدم إثارة الشيخ لذلك.

ولقد كان له (رحمه الله) بعض الكرامات قال عمر بن علي البزار : منها

وعن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن الحريري أنه سافر إلى دمشق قال فاتفق إني لما قدمتها لم يكن معي شيء من النفقة البتة وأنا لا أعرف أحداً من أهلها فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر فإذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعاً فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم صالحة وقال لي انفق هذه الآن وخلي خاطرك مما أنت فيه فإن الله لا يضيعك ثم رد على أثره كأنه ما جاء إلا من أجلي فدعوت له وفرحت بذلك وقلت لبعض من رأيته من الناس من هذا الشيخ فقال وكأنك لا تعرفه هذا ابن تيمية ، وكان جل قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه فتحققت أن الله أظهره علي وعلى حالي فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق بل فتح الله علي من حيث لا احتسب واستدللت فيما بعد عليه وقصدت زيارته والسلام عليه فكان يكرمني ويسألني عن حالي فأحمد الله تعالى إليه.

ومن ذلك أن الشيخ (رحمه الله) حين نزل المغول بالشام لأخذ دمشق وغيرها رجف أهلها وخافوا خوفاً شديداً وجاء إليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجه

إلى الله ثم قال أبشروا فإن الله يأتاكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثلاثة حتى ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض . قال الرواي فوالذي نفسي بيده أو كما حلف ما مضى إلا ثلاث مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض .

كما كان (رحمه الله) مجبولاً على الكرم لا يتطبعه ولا يتصنعه بل هو له سجية ، فما شد على دينار ولا درهم قط بل كان مهما قدر على شيء من ذلك يجود به كله وكان لا يرد من يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم ولا دنائير ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئاً من النفقة فإن كان حينئذ متعذراً لا يدعه يذهب بلا شيء بل كان يعتمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله.

كان الشيخ (رحمه الله) يوماً جالساً فجاء إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يعتمد به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفن النصف الآخر إلى ذلك الرجل .

فعل ذلك الشيخ (رحمه الله) وله فيه قدوة برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَأَكْسُنِيهَا فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَامَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا مَا أَحْسَنَتْ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ فَقَالَ رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي أُكْفَنُ فِيهَا . أخرجه البخاري .

وهناك كرم للشيخ من نوع آخر وهو كرمه بكتب العلم ، مع قيمتها الكبيرة في ذلك الزمان فلم تكن الكتب متوفرة في وقته ، بل نسخ محدودة يكتبها العلماء

بأيديهم أو تلاميذهم ، ومع ذلك فإنه جاء الشيخ يوماً إنسان يسأله كتاباً ينتفع به فأمره أن يأخذ كتاباً يختاره فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشترى بدراهم كثيرة فأخذه ومضى فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك فقال أيحسن بي أن امنعه بعد ما سأله دعه فلينتفع به وكان الشيخ (رحمه الله) ينكر إنكاراً شديداً على من يسأل شيئاً من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ويقول ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه ومن كرمه أنه كان لا ينظر مع ذلك إلى جهة الملك والتمول وهذا القدر من كرمه يغنى المقتدي به.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.